

— اغلاط العرب —

يذهب بعض الناس الى ان العرب معصومة في ألسنتها لا يجوز عليها ما يجوز على المولد من الخطأ والوهم وأن كل ما نطق به البدوي ينبغي ان يتخذ سنة يتابع عليها من غير بحث ولا انتقاد لان لسانه لا يجري الا بالصواب ولا يقع الا على الصحة . ولا يخفى ما في هذا القول من الخرق والغلو لأننا لا نعلم وجهاً يعصم البدوي عما ركب في طبائع سائر البشر من قبول السهو والشطط فضلاً عن كونه ادنى من غيره الى الوهم لانه كان ينطق عن السليقة المحضة ولم يكن له من القوانين الصناعية ما يردّه الى الصواب اذا شدّ عنه . وانت خير بان اللغة لم تُنقل اليها منقحةً مصححةً ولا سبق للذين أخذت عنهم ان اجتمعوا على ضبطها وتحريرها وازالة ما فيها من مواضع الشبهات والمغالط ولكنها نُقلت اليها كما جرت على ألسنة المتكلمين بها حتى العجائز والصبيان فضلاً عن الخطباء والشعراء بل لو لم يكن فيما نُقلت عنه الا الشعر وهو اوسع مصادرها واليه معظم شواهدنا لكفى ان تكون مظنة للشذوذ والخطأ لما هو معلوم من امر الشعر وما يعرض فيه من الضرورات التي تقضي على الشاعر ان يعدل عن السنن المألوف في لسانه لاقامة الوزن او القافية

بلى لا تُنكر مزية العربي على المولد في انه هو واضع اللغة وان المولد مقلده فيها وانه ما دام منتحلاً لهذه اللغة فهو مقيد بمتابعة الواضع وكل ما خالفه فيه لم يعد من اللغة التي انتحلها وهذا امر لا سبيل الى انكاره

ولا جدال فيه . غير أن هذه المزية للعربي على المولد إنما هي في وضع الفاظ اللغة وسنّ أحكامها وضوابطها لأنه هو السابق إليها فليس لمن جاء بعده أن ينازعه في ذلك ولا أن ينقض حكماً بناءً ولا سيما بعد أن خُتم على اللغة بخاتم القرآن والسنة وتعيّن الجري فيها على ما انتهت إليه زمن التنزيل والنطق بالأحاديث النبوية وأما في استعمال الألفاظ والأحكام الموضوعات فالعربي وغيره سواء ليس للعربي أن يخالف قوانين لغته كما أنه ليس للمولد أن يجري على غير ما تقلده عنه وبهذا ميز علماء الأدب بين مطرد اللغة وشاذها وفصيحتها وركيكها ونهبوا على المذاهب الضعيفة في النحو وغيره بل نقضوا أقوال بعض العرب أنفسهم وحكموا بخطأها لم يقلوا لهم فيها عثراً ولا سوّغوا القياس عليها فضلاً عن اتخاذها حجة . وقد عقد السيوطي في المزهراً باباً في معرفة اغلاط العرب نقل فيه عن ابن جنّي وابن فارس وابن دُرَيْد وغيرهم ونحن نورد هنا شيئاً من هذا الباب ثم نردفه بما اتفق لنا الوقوع عليه من اغلاطهم مما لا يخلو من فائدة وتبصرة للمطالع

قال ابن جنّي فيما نقل عنه السيوطي بعد العنوان المذكور كان أبو علي يرى وجه ذلك ويقول إنما دخل هذا النحو كلامهم لأنهم ليست لهم أصول يراجعونها ولا قوانين يستمعصمون بها وإنما تهجم بهم طباعهم على ما ينطقون به فربما استهواهم الشيء فزاعوا به عن القصد فمن ذلك ما أنشده ثعلب

غدا مالك يرمي نسائي كأنما نسائي لسهمي مالك غرضان
 فيارب فاترك لي جهيمة أعصراً فمالك موت بالقضاء دهاني

قال هذا رجل مات نساءً وشيئاً فشيئاً فتظلم من ملك الموت وحقيقة لفظه

غلطاً وفاسد وذلك ان هذا الأعرابي لما سمعهم يقولون ملك الموت وكثر ذلك في الكلام سبق اليه ان هذه اللفظة مركبة من ظاهر لفظها فصارت عنده كأنها فعلٌ لأن ملكاً في اللفظ في صورة فلک وحلک فبنى منها فاعلاً فقال مالك موتٍ وإنما مالك هنا على الحقيقة والتحصيل ما قل كما ان ملكاً على التحقيق مقلٌ واصله ملأك الى آخر ما قاله هنا واشبع القول فيه . ثم قال ومن ذلك همزهم مصائب وهو غلط منهم وذلك انهم شبهوا مصيبة بصحيفة فكما همزوا صحائف همزوا ايضاً مصائب وليست ياء مصيبة بزائدة كياء صحيفة ولكنها عينٌ عن واو وهي العين الاصلية واصلها مضوبة . ثم عد من ذلك اشياء منها قولهم حلأت السوق ورثأت الميت واستلأمت الحجر ولبأت بالحج (اي بالهمز في ذلك كله يريدون حلأت السوق ورثأت الميت واستلأمت الحجر ولبأت بالحج) . قال ومن أغلاطهم ما يتعايرون به في الالفاظ والمعاني نحو قول ذي الرمة « والجيد من امانة عتود » (كذا) وإنما يقال هي ادماء والرجل آدم ولا يقال امانة كما لا يقال حمرانة وصفرة وقال

حتى اذا دوّمت في الارض راجعها كبر ولو شاء نجى نفسه الهرب
وانما يقال دوّى في الارض ودوّم في السماء . وقال ابن فارس في فقه اللغة ما جعل الله الشعراء معصومين يوقون الغلط والخطأ فما صح من شعرهم فمقبول وما ابته العربية واصولها فردود كقوله « الم يأتيك والانباء تنى » وقوله « لما جفا اخوانه مُصعباً » وقوله « قفا عند مما تعرفان ربوع^(١) »

(١) اي قفا عند ربوع مما تعرفان وهو من الغلط التركيبي ومثله قول الآخر

فكله غلط وخطأ . وقال ابن دُرَيْد في اواخر الجمهرة باب ما أجروه على
الغلط فجاءوا به في اشعارهم قال الشاعر (النابغة)

وكلُّ صَمُوتٍ نَشَلَةٌ تُبْعِيهِ ونسجُ سُلَيْمٍ كلُّ قَضَاءٍ ذَائِلٍ
اراد سليمان . وقال آخر « من نسج داودَ ابي سلام » يريد سليمان ايضاً
ومثله قول الآخر « جدلاء محكمة من نسج سلام » . وقال آخر
برية لم تأكل المرققا ولم تذق من البقول الفستقا

فظن ان الفستق بقل . وقال رؤبة

هل يُنجيني حَلَفٌ سَخِيتُ او فضةٌ او ذهبٌ كبريتُ
قال وهذا مما غلط فيه رؤبة فجعل الكبريت ذهباً . انتهى المنقول عن
المزهر باختصار وقد بقي اشياء كثيرة اضربنا عنها لطولها والكتاب مطبوع
فمن احب الوقوف عليها فليطالعها هناك

لها مقتلنا حوراء ترى خيلةً من الوحش ما تنفك طلّ عرارُها
اراد لها مقتلنا حوراء من الوحش ما تنفك ترى خيلةً طلّ عرارُها . وقول الآخر
فقد والشكُّ بين لي عناءً بوشك فراقهم صردٌ يصيحُ
اي فقد بين لي صردٌ يصيح بوشك فراقهم والشك عناءً . وقول الآخر
فاصبحت بعد بهجتها قفراً كأن قفراً رسومها قلما
اراد فاصبحت بعد بهجتها قفراً كأن قلماً خط رسومها . ومن هذا بيت الفرزدق
الذي يستشهد به البيانيون في الكلام على التعقيد وهو قوله
وما مثله في الناس الا مملكاً ابو امه حيُّ ابوه يقاربه
اي وما مثله في الناس حيُّ يقاربه الا مملكاً ابو امه اي ابو ام ذلك المملك ابوه .
على ان مثل هذا ان قصد به المعايه فليس من هذا الباب غير انه على كل حال
مستهجن اذ لا نكتة فيه

قلنا ومن الالفاظ التي اخطأوا في معانيها قول خالد بن زهير
وقاسمها بالله جهداً لأنتم الذ من السلوى اذا ما نشورها
اراد بالسلوى العسل ونشورها مضارع شار العسل اذا جناه . قال في لسان
العرب قال الزجاج اخطأ خالد انما السلوى طائر ثم قال قال الفارسي السلوى
كل ما سلاك وقيل للعسل سلوى لانه يسليك بحلاوته . . يرد بذلك على
الزجاج اه . قلنا وهذا ولا جرم احدى مزالق اللغة ودواعي فسادها واذا
كانت السلوى لا تُعرف عند العرب بمعنى العسل فما الداعي الى زيادة هذا
المعنى فيها حال كونه غير متيقن ولم يُسمع الا في هذا البيت واي ضرر من
القول بان هذا الشاعر قد غلط . ومن هذا القبيل قول العجاج
بل بلاد مثل الفجاج قُتْمَةٌ لا يُشترى كُتْنُهُ وجَهْرَمَةٌ
قال الوزير ابو بكر في شرح ديوان امرئ القيس غلط العجاج في الجهرم
ظن انها ثياب وهي بلد بفارس اه . وتمحل له صاحب لسان العرب بانه
على اسقاط ياء النسبة اي انه اراد وجهرمية على جعل الجهرمي اسم جنس
للثياب الجهرمية وهي المنسوبة الى هذا البلد وفيه تعسف لا يخفى ثم نقل
عن الزيادي عن ابن بري انه قد يقال للبساط نفسه جهرم وما نظن الزيادي
بنى قوله الا على هذا البيت كما بنى صاحب لسان العرب تفسير الكبريت
بالذهب الاحمر على قول رؤبة المتقدم على انه صرح هناك بتعليط رؤبة
عن ابن الأعرابي . قال ابن جني وقد حكى عن رؤبة وابيه يعني العجاج
انهما كانا يرتجلان ألفاظاً لم يسمعاها ولا سبقا اليها . اه . ومن ذلك قول
امرئ القيس في معلقته

فتوضحَ فالمقراة لم يعفُ رسمها لما نسجتها من جنوبٍ وشمالٍ
 فاعل نسجتها ضمير الريح استغنى عن تقدم ذكرها بدلالة القرينة وقوله من
 جنوبٍ وشمالٍ بيان للريح . وفيه ان النسج انما يكون بين الريحين المتعارضتين
 كالجنوب والدبور مثلاً تشبه آثار احدهما بالسدى وآثار الاخرى باللحمة
 قال في القاموس ونسجُ الريح الربع ان يتاوره ريحان طولاً وعرضاً . اهـ .
 والجنوب والشمال لا تنسجان لانهما متناوحتان اي متقابلتان وهو
 ظاهر . قلنا ووقع هذا الغلط من امرئ القيس في منتهى العجب على ان
 كل من روى معلقته روى هذه اللفظة هكذا ولم نجد في شراح المعلقات
 ولا شراح الديوان من تعرض لها وهو اعجب . والذي عندنا ان في الرواية
 تصحيفاً ولعل الصواب نسختها بالخاء المعجمة من قولهم نسخت الريح آثار
 الديار اذا غيرتها كما في لسان العرب والله اعلم

(ستأتي البقية)

استخدام الهواء السائل

تقدم لنا في بعض اجزاء السنة الاولى كلامٌ عن الهواء السائل
 وطريقتهم في تسيله وذكرنا شيئاً من خصائصه وامتحاناتهم فيه بما لا يعدو
 الفكاهة والاختبار الا انهم لم يستخدموه في شيء من المنافع الا في هذه
 الايام لانه كان يقتضي في تسيله نفقات فاحشة حتى قيل ان وزن الرطل
 المصري منه لم يكن يسيل بأقل من نفقة ألف جنائي . وقد اسلفنا هناك
 ان أعلى درجة يبق فيها على سيلانه هي درجة ١٩١ من السنتغراد واذا